

جملة من مكارم الأخلاق

الدرس
23

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف على جملة من مكارم الأخلاق.
- 2- أن أدرك فقه بعض المأمورات والمنهيات.
- 3- أن أتمثل هذه الأخلاق في سلوكي.

تمهيد

الدين الإسلامي في تشريعاته السمحة الرصينة مزج بين العبادة الصادقة الصحيحة وبين الأخلاق الفاضلة النبيلة للراقي بالإنسان في مقامات الكمال تعبدا وتخلقا، تركية وترقية، تخلية وتحلية وذلك بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وكان فيما شرع من مكارم الأخلاق العفو والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوبة من كل ذنب.

فما العفو؟ وما المعروف وما المنكر؟ وما التوبة؟ وما شروطها؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «وَمِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَجَمَاعُ آدَابِ الْخَيْرِ وَأَزِمَّتِهِ تَتَفَرَّعُ عَنْ أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ قَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَّهُ مَا لَا يَغْنِيهِ» وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي اخْتَصَرَ لَهُ فِي الْوَصِيَّةِ: «لَا تَغْضَبُ» وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَتَعَمَّدَ سَمَاعَ الْبَاطِلِ كُلِّهِ... وَلَا قِرَاءَةَ

الْقُرْآنِ بِاللُّحُونِ الْمُرْجَّعَةِ كَتَرَجِيعِ الْغِنَاءِ، وَلِيَجَلَ كِتَابُ اللَّهِ الْعَزِيزِ أَنْ يُتْلَى إِلَّا بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَمَا يُوقِنُ أَنَّ اللَّهَ يَرْضَى بِهِ وَيَقْرُبُ مِنْهُ مَعَ إِحْضَارِ الْفَهْمِ لِدَلِكِ. وَمِنْ الْفَرَائِضِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى كُلِّ مَنْ بَسِطَتْ يَدُهُ فِي الْأَرْضِ وَعَلَى كُلِّ مَنْ تَصِلُ يَدُهُ إِلَى ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِقَلْبِهِ. وَفَرَضَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُرِيدَ بِكُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ مِنَ الْبِرِّ وَجَهَ اللَّهُ الْكَرِيمُ، وَمَنْ أَرَادَ بِذَلِكَ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يَقْبَلْ عَمَلُهُ، وَالرِّيَاءُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ. وَالتَّوْبَةُ فَرِيضَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ مِنْ غَيْرِ إِصْرَارٍ، وَالْإِصْرَارُ الْمُقَامُ عَلَى الذَّنْبِ وَاعْتِقَادُ الْعَوْدِ إِلَيْهِ، وَمِنْ التَّوْبَةِ رَدُّ الْمَظَالِمِ وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ وَالنِّيَّةُ أَنْ لَا يَعُودَ، وَلَيْسَتْ غُفْرَانُ رَبِّهِ وَيَرْجُو رَحْمَتَهُ وَيَخَافُ عَذَابَهُ وَيَتَذَكَّرُ نِعْمَتَهُ لَدَيْهِ وَيَشْكُرُ فَضْلَهُ عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ بِفَرَائِضِهِ وَتَرْكِ مَا يَكْرَهُ فَعَلَهُ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِمَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ نَوَافِلِ الْخَيْرِ، وَكُلُّ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرَائِضِهِ فَلْيَفْعَلْهُ الْآنَ وَلْيَرْغَبْ إِلَى اللَّهِ فِي تَقَبُّلِهِ وَيَتُوبْ إِلَيْهِ مِنْ تَضْيِيعِهِ وَلْيَلْجَأْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا عَسَرَ عَلَيْهِ مِنْ قِيَادِ نَفْسِهِ وَمُحَاوَلَةِ أَمْرِهِ مُوقِنًا أَنَّهُ الْمَالِكُ لَصَلَاحِ شَأْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ لَا يَفَارِقُ ذَلِكَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ حَسَنٍ أَوْ قَبِيحٍ وَلَا يَبْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْفِكْرَةُ فِي أَمْرِ اللَّهِ مِفْتَاحُ الْعِبَادَةِ فَاسْتَعِنْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْفِكْرَةِ فِيمَا بَعْدَهُ وَفِي نِعْمَةِ رَبِّكَ عَلَيْكَ وَإِمَهَالِهِ لَكَ وَأَخْذِهِ لغيرِكَ بِذَنْبِهِ وَفِي سَالِفِ ذَنْبِكَ وَعَاقِبَةِ أَمْرِكَ وَمُبَادَرَةِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ مِنْ أَجْلِكَ».

● الفهم

الشرح:

مَكَارِمُ: محاسن.

وَأَزِمَّتِهِ: جَمَعَ زِمَامَ الطَّرِيقِ الْمُوصِلَةَ إِلَيْهِ.

الْمَلَاهِي: يقال: لها يلهو لهما لعب والملاهي آلتها.

بِاللُّحُونِ الْمُرْجَّعَةِ: الأصوات المطربة المخلة بقواعد الأداء و قدسية القرآن الكريم.

استخلاص مضامين المتن:

- 1- أستخرج من المتن جملة من مكارم الأخلاق.
- 2- أستخلص من خلال المتن جملة من المنهيات.
- 3- أستخرج انطلاقا من المتن ما تضمنه من الفرائض.

التحليل

يشتمل هذا الدرس على المحاور الآتية:

أولا: من مكارم الأخلاق

من مكارم الأخلاق ومحاسنها:

1 - أن تعفو عمن ظلمك وتصفح عن زلة من تعدى عليك بشتم أو ضرب أو أخذ مال لقوله تعالى: ﴿وَالْكَاذِبِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: 134] وَقَالَ أَيُّضًا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى: 37]

2 - أن تعطي من حرمك شيئا من المال أو غيره غير ما وجب لك عليه. وذلك هو البذل الحقيقي. وإلى هذا أشار المصنف رحمه الله بقوله: «وَمِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ».

3 - أن تصل من قطعك؛ إذ من محاسن الأخلاق أن تصل مودة من قطعك من أولي الأرحام أو الأصحاب. وهذه الخصال الثلاث تفسير قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَإِمْرِ بِالْغُرَىٰ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]. ولما قدم المصنف أن من مكارم الأخلاق العمل بالخصال الثلاث السابقة شرع في ذكر أحاديث دالة على بيان ما يصير به العاقل متبعا لطريقة نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومتخلقا بأخلاقه بحيث يصير كامل الإيمان بقوله رحمه الله: «وَجَمَاعُ آدَابِ الْخَيْرِ وَأَزِمَّتِهِ تَتَفَرَّعُ عَنْ أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ قَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا

لَا يَغْنِيهِ» وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلَّذِي اخْتَصَرَ لَهُ فِي الْوَصِيَّةِ: «لَا تَغْضَبُ» وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

ثانياً: جملة من الفرائض

1 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال المصنف رحمه الله: «وَمِنَ الْفَرَائِضِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى كُلِّ مَنْ بُسِطَتْ يَدُهُ فِي الْأَرْضِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ تَصِلُ يَدُهُ إِلَى ذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِقَلْبِهِ» من الفرائض العينية في حق من بُسِطت يده بالحكم والتصرف في الأرض كالسلطان ومن دونه من الحُكَّام الأمر بالمعروف، وهو: ما أمر الله ورسوله به، والنهي عن المنكر وهو: ما نهى الله ورسوله عنه، وكذلك في حق العلماء بالكلمة الصادقة اللينة، وكل من تصل يده إلى الأمر والنهي قولاً أو فعلاً كالأب على أولاده بحسن تربيتهم على الخير وإبعادهم عن الشر، فإن لم يكن من أهل العلم فليغيره بقلبه.

2 - قصد وجه الله الكريم بكل قول وعمل من البر:

قال المصنف رحمه الله: «وَفَرَضَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُرِيدَ بِكُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ مِنَ الْبِرِّ وَجْهَ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَمَنْ أَرَادَ بِذَلِكَ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يُقْبَلْ عَمَلُهُ وَالرِّيَاءُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ»؛ لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه سبحانه وتعالى.

3 - التوبة من كل ذنب:

قال المصنف رحمه الله: «وَالْتَّوْبَةُ فَرِيضَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ مِنْ غَيْرِ إِصْرَارٍ، وَالْإِصْرَارُ الْمُقَامُ عَلَى الذَّنْبِ وَاعْتِقَادُ الْعُودِ إِلَيْهِ، وَمِنْ التَّوْبَةِ رَدُّ الْمَظَالِمِ وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ وَالنِّيَّةُ أَنْ لَا يَعُودَ، وَلَيْسَتْ غُفْرَانُ رَبِّهِ وَيَرْجُو رَحْمَتَهُ وَيَخَافُ عَذَابَهُ. أشار المصنف رحمه الله إلى جملة ما يطلب من التائب، وهو الآتي:

-أَنْ يَأْخُذَ بِأَسْبَابِ التَّوْبَةِ وَيَرْجُو بِتَوْبَتِهِ رَحْمَةَ اللَّهِ؛ بَأَنْ يَطْمَعَ فِي حُصُولِهَا مَعَ أَخْذِهِ فِي أَسْبَابِ الْحُصُولِ بِالْإِقْلَاعِ عَنِ الذَّنْبِ وَرَدِ الْمَظَالِمِ إِلَى أَصْحَابِهَا، وَالْمُؤَاطَبَةِ

على الأعمال الصالحة، وهو قوله رحمه الله: «وَيَرْجُو رَحْمَتَهُ».

- **أَنْ يَخَافَ عَذَابَ اللَّهِ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِ؛** لَأَنَّهُ وَإِنْ تَابَ تَوْبَةً نَّصُوحًا فِي الظَّاهِرِ لَا يَقْطَعُ بِالْإِثْنَانِ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ شَرْعًا. وهذا قوله: «وَيَخَافُ عَذَابَهُ».

- **أَنْ يَتَذَكَّرَ نِعْمَتَهُ تَعَالَى عَلَيْهِ،** وَهِيَ تَوْفِيقُهُ لِلتَّوْبَةِ وَإِقْدَارُهُ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ النُّعْمَةِ يَكُونُ سَبَبًا لِتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ. وهذا قوله: «وَيَتَذَكَّرُ نِعْمَتَهُ لَدَيْهِ».

- **أَنْ يَشْكُرَ فَضْلَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ؛** بَأَنْ يَأْتِيَ بِالْأَعْمَالِ بِفَرَائِضِهَا الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سورة سبأ: 13]. وذلك قول المصنف رحمه الله: «وَيَشْكُرُ فَضْلَهُ عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ بِفَرَائِضِهِ وَتَرْكِ مَا يَكْرَهُ فِعْلَهُ».

- **أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بِمَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ نَوَافِلِ الْخَيْرِ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَغَيْرِهِمَا. وذلك قول المصنف رحمه الله: «وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِمَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ نَوَافِلِ الْخَيْرِ».

- **أَنْ يَفْعَلَ التَّائِبَ كُلَّ مَا ضَيَّعَ مِنَ الْفَرَائِضِ قَبْلَ تَوْبَتِهِ:** وهو المشار إليه بقوله: «وَكُلُّ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرَائِضِهِ فَلْيَفْعَلْهُ الْآنَ».

- **أَنْ يَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ فِي تَقَبُّلِهِ** لِمَا يَفْعَلُ مِنَ الْفَرَائِضِ بَعْدَ تَضْيِيعِهَا: وهو المشار إليه بقوله: «وَلْيَرْغَبْ إِلَى اللَّهِ فِي تَقَبُّلِهِ وَيَتُوبْ إِلَيْهِ مِنْ تَضْيِيعِهِ».

- **أَنْ يَفْزَعَ إِلَى اللَّهِ فِيمَا صَعِبَ عَلَيْهِ مِنْ قِيَادَةِ نَفْسِهِ** إِلَى الطَّاعَةِ لِرَغَبَتِهَا عَنْهَا وَعَدَمِ مِيلِهَا لِفِعْلِهَا: وهو المشار إليه بقوله رحمه الله: «وَلْيُلْجَأْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا عَسَرَ عَلَيْهِ مِنْ قِيَادِ نَفْسِهِ وَمُحَاوَلَةِ أَمْرِهِ مُوقِنًا أَنَّهُ الْمَالِكُ لِصَلَاحِ شَأْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ لَا يُفَارِقُ ذَلِكَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ حَسَنٍ أَوْ قَبِيحٍ وَلَا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ».

- **أَنْ يَنْظُرَ وَيَتَأَمَّلَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ** لِيَعْلَمَ بِذَلِكَ عَجْزَ نَفْسِهِ فَيَفُوضَ أَمْرَهُ إِلَى خَالِقِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ. وإليه الإشارة بقوله: «وَالْفِكْرَةُ فِي أَمْرِ اللَّهِ مِفْتَاحُ الْعِبَادَةِ فَاسْتَعِنْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْفِكْرَةِ فِيمَا بَعْدَهُ وَفِي نِعْمَةِ رَبِّكَ عَلَيْكَ وَإِمْهَالِهِ لَكَ وَأَخْذِهِ لغيرِكَ بِذَنْبِهِ وَفِي سَالِفِ ذَنْبِكَ وَعَاقِبَةِ أَمْرِكَ وَمُبَادَرَةِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ مِنْ أَجْلِكَ».

التقويم

- 1- أعرف التوبة وأحدد شروطها وماذا ينبغي للتائب.
- 2- أذكر خمسة من الفرائض التي اشتمل عليها المتن مع الاستدلال عليها من الكتاب والسنة.
- 3- أبين فضائل الأخلاق الواردة في المتن، وآثارها في تزكية النفس وصلاح المجتمع.

الاستثمار

قال الإمام الغزالي رحمه الله : « ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين، ويستتهين بأمر الآخرة، ويستعظم أمر الدنيا، ويصير مقصور الهم عليها، فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن، ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك يؤسوا من الآخرة كما يؤس الكفار من أصحاب القبور، وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة». [إحياء علوم الدين 3 / 12]

- 1- أعرف بالإمام الغزالي رحمه الله.
- 2- أستخرج من النص آثار الذنوب على القلب مع الاستدلال على ذلك من الكتاب والسنة.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن:

- 1- عدد خصال الفطرة.
- 2- سبب تسميتها بهذا الاسم.
- 3- ما الحاجة إليها؟